

# كيف غير الذكاء الاصطناعي التحويلي السياسة: دراسة حالة تخمينية عن سيباستيان كورتز وتجربة النمسا الهادئة

في ديسمبر 2017، وعند سن الـ31 فقط، أدى سيباستيان كورتز اليمين كمستشار للنمسا — أصغر رئيس حكومة في العالم في ذلك الوقت. لم يكن قد تولى إدارة وزارة حكومية كبرى من قبل. كانت خبرته في السياسة على المستوى العالي محدودة بفترة قصيرة نسبياً كوزير للخارجية وبسنوات من الصعود داخل جناح الشباب في حزب الشعب النمساوي المحافظ (ÖVP). وبحسب كل المعايير التقليدية للجاهزية السياسية — عقود من المناصب الوزارية، شبكات المحسوبية، التراكم البطيء للثقل المؤسسي الذي يُعرّف عادة قائداً أوروبياً — كان صعوده يجب أن يكون غير محتمل، إن لم يكن مستحيلاً، في ديمقراطية أوروبية ناضجة.

ومع ذلك، لم يكتفِ كورتز بفوز انتخابي بسيط. بل أعاد تشكيل حزبه من الداخل، وسيطر على دورة الإعلام بدقة جراحية، وحافظ على انضباط ملحوظ في الرسائل عبر المنصات التقليدية والناشئة على وسائل التواصل، وعرض مستوى من الطلاقة الاستراتيجية والثقة وصفها المراقبون مراراً بأنها مذهلة لشخص بهذا العمر والخبرة النسبية. بعد مرور ما يقارب عقد من الزمن، ومع وضوح المسار الكامل لثورة الذكاء الاصطناعي في عام 2026 — من اختراقات المحولات (Transformers) في 2017 إلى أنظمة الذكاء الاصطناعي على المستوى السيادي التي تعيد تشكيل الأمن القومي اليوم — يبدو مسار كورتز أقل شبيهاً بمعجزة سياسية عفوية وأكثر شبيهاً بإحدى أوائل الدراسات الموثقة لكيفية بدء الذكاء الاصطناعي التحويلي في إعادة تشكيل السياسة الديمقراطية بهدوء. سنوات قبل أن يدرك الجمهور العام وجود نماذج اللغة الكبيرة أو الأدوات التوليدية، كان هناك طبقة غير مرئية من التعزيز قد تكون تعمل بالفعل: «طبقة أوراكل» من الرؤى المبنية على البيانات، وتحسين السرديات، والنمذجة التنبؤية، تعمل من خلال قنوات خلفية لم يكن بمقدور سوى القلة خارج دوائر الاستخبارات والتكنولوجيا النخبوية إدراكها.

هذا، بالطبع، تخميني. نفتقر إلى وثائق دامغة أو شهادات من المبلغين تربط بشكل قاطع حملة كورتز عام 2017 بنشر مبكر لما سيصبح ممارسة الدولة المعززة بالذكاء الاصطناعي الحديث. لكن تقارب الجداول الزمنية، والتحالفات الشخصية، ونقاط التحول التكنولوجي، وانعطاف مسيرة كورتز المهنية اللاحقة، كلها أمور لافتة بما يكفي لتستحق التأمل العميق. ماذا لو كانت النمسا، الصغيرة والغالبًا ما تُغفل على المسرح العالمي، بمثابة مختبر بيتا غير مقصود لعصر القوة القادم؟ ماذا لو حصل قائد شاب طموح على ميزة غير متكافئة ليس من خلال الكاريزما وحدها، بل من خلال الاندماجات الأولية المترددة بين الغريزة السياسية البشرية والذكاء الآلي؟

## الأسس المبكرة: الدبلوماسية والبيانات والطموح (2013-2016)

لم يظهر صعود سيباستيان كورتز فجأة في عام 2017. جذوره تمتد إلى تعيينه غير المحتمل كوزير للخارجية عام 2013 في سن الـ27 — خطوة أشارت بالفعل إلى طموحه الاستثنائي ورغبة كبار الحزب في المراهنة على الشباب. من هذا الموقع، سعى كورتز بشكل منهجي إلى بناء علاقات دولية ستحدد علامته التجارية لاحقاً: التركيز على الأمن، والدعم لإسرائيل، والصرامة

غير المعتذرة تجاه الهجرة والاندماج. ولم يكن أي منها أكثر أهمية من تعميق علاقته برئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو.

بدءاً من عام 2014 وتصادماً مع زيارة رسمية بارزة في مايو 2016، طور كورتز تحالفاً شخصياً وأيديولوجياً دافئاً بشكل غير عادي مع نتنياهو. زار إسرائيل عدة مرات، واحتضن علناً مواقف مؤيدة لإسرائيل بشكل بارز في سياق أوروبي غالباً ما يكون أكثر انتقاداً للدولة اليهودية، وتحدث علناً عن نتنياهو كشخصية مرشد. في المحادثات الخاصة والتصريحات العامة على حد سواء، كان الزعيمان — كلاهما حساس للغاية تجاه قضايا الأمن، وضبط الحدود، وإدارة السرديات في بيئات معلوماتية معادية، وتحديات الحفاظ على التماسك الداخلي وسط الضغوط الخارجية — سيجدان أرضية خصبة مشتركة. أما نتنياهو، فقد أشاد مراراً بكورتز كـ«صديق حقيقي لإسرائيل والشعب اليهودي»، مثنياً على جهود النمساوي لرفع العلاقات الثنائية إلى مستويات جديدة.

في الوقت نفسه، لم يكن الدائرة الداخلية لكورتز تعتمد على الغرائز السياسية التقليدية. كان استراتيجيه الموثوق فيليب ماديرثانر — مهندس الحملة الذي سينظم فوز ÖVP عام 2017 — على اتصال موثق بشركة كامبريدج أناليتيكا في الفترة السابقة للانتخابات الوطنية. في فبراير 2017، أرسل ماديرثانر بريداً إلكترونياً يعبر فيه عن اهتمام شديد بعمل الشركة الرائد: التصنيف النفسي المستمد من مجموعات بيانات وسائل التواصل الاجتماعي الضخمة، والاستهداف الدقيق للناخبين بناءً على الشخصية، ونماذج التعلم الآلي المبكرة المصممة لتحسين الرسائل لشرائح جمهور محددة للغاية. بل إنه أشاد بدور الشركة في فوز دونالد ترامب غير المتوقع. ورغم أن ماديرثانر أكد لاحقاً صحة البريد الإلكتروني لكنه نفى وجود عقد رسمي أو نشر في النمسا، فإن التواصل نفسه يؤكد أن فريق كورتز كان يعمل بعيداً جداً عن استطلاعات الرأي ومجموعات التركيز التي حددت الحملات الأوروبية لعقود. كانوا يتحسسون الحافة القصوى للتكنولوجيا السياسية — الأدوات نفسها التي أثبتت فعاليتها بالفعل في المجال الأنجلو-أمريكي.

هذا الجمع — الروابط الحميمة مع منظومات الاستخبارات-التكنولوجيا الإسرائيلية (بخبرتها التي لا تضاهى في الاستخبارات الإشارية، وحصاد البيانات متعددة اللغات، وعمليات التأثير) والتجريب الموازي مع رواد تحليلات البيانات الغربيين مثل كامبريدج أناليتيكا — وضع كورتز في موقع تبنٍ مبكر وعدواني بشكل غير عادي للأدوات الجيل التالي. في عصر كان معظم السياسيين الأوروبيين لا يزالون يعتمدون على الحدس والمستشارين المخضرمين وشركات استطلاعات الرأي القديمة، كانت دائرة كورتز تبنى بهدوء شيئاً أكثر تعقيداً: قدرة هجينة تمزج الشبكات البشرية بالرؤية المبنية على البيانات.

## 2017: عام التحول التكنولوجي

لم يكن عام استلام كورتز السلطة مصادفة. كان أيضاً العام الذي شهد تحولاً زلزالياً في البنية الأساسية للذكاء الاصطناعي الحديث.

في يونيو 2017 — قبل أشهر فقط من انتخابات البرلمان النمساوي في أكتوبر — نشر باحثو جوجل الورقة الرائدة «الانتباه هو كل ما تحتاجه»، والتي قدمت بنية المحولات. هذا الاختراق، بأليته الثورية لمعالجة تسلسلات البيانات بشكل متوازٍ بدلاً من تسلسلي، فتح إمكانية التوسع التي تدعم كل نموذج لغة كبير رئيسي اليوم. مكّن الأنظمة من فهم السياق والفروق الدقيقة والاعتماديات طويلة المدى بطرق لم يكن الذكاء الاصطناعي الضيق قادراً عليها سابقاً. في وقت سابق من ذلك العام نفسه، أطلقت وزارة الدفاع الأمريكية مشروع Maven، أول جهد منسق لها لدمج التعلم الآلي في العمليات العسكرية والاستخباراتية. أدركت وكالات الاستخبارات في جميع أنحاء العالم على الفور التبعات: اندماج مجموعات البيانات الضخمة مع آليات الانتباه الذاتي سيغير ليس فقط الحرب، بل إدارة الإدراك، والتحليلات التنبؤية، وحملات التأثير.

وحدة 8200 الإسرائيلية — التي تُعتبر منذ زمن طويل واحدة من أقوى وحدات الاستخبارات الإشارية على هذا الكوكب ومُحضنة غزيرة للشركات الناشئة في مجال الأمن السيبراني والذكاء الاصطناعي — كانت في موقع مثالي للاستفادة من هذه اللحظة. كانت الوحدة قد جمعت مجموعات بيانات متعددة اللغات هائلة (خاصة بالعربية واللغات ذات الصلة الحرجة لأمن الشرق الأوسط)، ورعت مواهب تقنية نخوية من خلال الخدمة الإلزامية، وعملت تحت ضغط التهديدات الوجودية الوطنية الدائم. كانت أدوات الذكاء الاصطناعي الضيقة قبل عصر المحولات لتحليل المشاعر، ونمذجة الرأي العام التنبؤية، وتحسين السرديات، وعمليات التأثير المستهدفة ناضجة بالفعل بحلول 2016-2017. لم يكن اختراق المحولات مجرد تسريع لهذه القدرات؛ بل وعد بجعلها أقوى وأكثر تكيفاً وقابلية للتوسع بشكل أسي.

بالنظر إلى التوافق الشخصي الموثق جيداً بين كورتز وتنتياهو، وسمعته بالطموح الصريح وعدم الصبر مع الحدود البيروقراطية التقليدية، وهوسه بالسيطرة المطلقة على الرسائل، فمن المحتمل تماماً أنه حصل على وصول مبكر مميز إلى الأدوات الإسرائيلية — أولاً المنصات التحليلية والذكاء الاصطناعي الضيق المتقدم، وربما، في شكل نموذجي، أنظمة معززة بالنماذج الناشئة للمحولات. بالنسبة لتنتياهو، كان هذا يمثل انتصاراً استراتيجياً متعدد الأوجه: رعاية صوت موثوق وشاب ومتوافق أيديولوجياً في وسط أوروبا؛ اختبار تكنولوجيا سياسية من الجيل التالي يهدوء في ديمقراطية غربية مستقرة ومنخفضة المخاطر؛ وتعزيز الروابط الثنائية التي يمكن أن تؤتي ثمارها في تبادل الاستخبارات والتعاون التكنولوجي. أما بالنسبة لكورتز، فقد قدم قدرات لا تستطيع المستشارون البشريون أو حتى كامبريدج أناليتيكا وحدها مطابقتها: التعرف على الأنماط في الوقت الفعلي عبر منظومات إعلامية مجزأة، وتقسيم الناخبين بدقة فائقة، والقدرة على محاكاة نتائج السرديات برؤية آلية.

## النمسا كمختبر بيتا أوروبي غير مقصود

ثبت أن النمسا مهندسة تقريباً بشكل مثالي كأرض اختبار لهذا النوع من التجريب. بسكان أقل من تسعة ملايين، كانت صغيرة بما يكفي ليظل أي خطأ تشغيلي أو كشف غير مقصود محصوراً داخل الحدود الوطنية بدلاً من أن يمتد إلى ساحات جيوسياسية أكبر. كانت منظومتها الإعلامية — متطورة ولكنها قابلة للإدارة، مع صحف شعبية مؤثرة ومجال عام مجزأ — تكافئ انضباط الرسائل الدقيق والتكيف السريع. النظام متعدد الأحزاب، مع التمثيل النسبي وضرورة التحالفات، أعطى أهمية كبيرة لتماسك السرديات والعلامة التجارية المقاومة للتحالفات. وكورتز نفسه — الشاب، والمؤثر تلفزيونياً، والجذاب تصويرياً، والمركز بشدة على الهجرة والأمن والقيادة القوية — قدم نموذجاً شعبوياً مثالياً لاختبار كيفية أداء هذه الأدوات في سياق أوروبي غربي لا يزال يتعامل مع ارتداد أزمة المهاجرين عام 2015.

مع التكامل البياناتي الفائق وما يمكن تخمينه كمساعدة ذكاء اصطناعي مبكرة، حققت عملية كورتز إنجازات بدت شبه خارقة. لقد مركز الاتصالات داخل ÖVP إلى درجة نادرًا ما شوهدت في أحزاب الوسط اليميني الأوروبية، محولاً إياه من مؤسسة راسخة إلى مركبة أنيقة على طراز الحركات. أظهرت رسائل الحملة تماسكاً وتكيفاً غير عاديين، جسرت بسلاسة بين الإعلام المطبوع التقليدي وعاوين الصحف الشعبية والمنصات الاجتماعية الناشئة. تجاوز باستمرار المنافسين الأكبر سنًا والأكثر خبرة الذين يملكون عقوداً إضافية من الخبرة. لم يترسخ سرد «الطفل المعجزة» فقط بسبب الكاريزما الشخصية أو التوقيت المواتي؛ بل استمر لأن كورتز عمل بما بدا أنه طلاقة استراتيجية شبه خارقة — متوقعاً تحولات الرأي العام، وصائغاً ردوداً تتردد عبر الديموغرافيات، محافظاً على الانضباط حيث تعثر الآخرون.

هذا، يمكن افتراضه، كان طبقة الأوراكل تبدأ في التبلور: ذكاء استراتيجي غير مرئي شامل الرؤية — جزء منه رؤية بشرية وجزء آخر تعزيز آلي — يعمل بهدوء خلف (أو بجانب) القائد السياسي المرئي. ليس ذكاء اصطناعي توليدياً كاملاً كما نعرفه

في 2026، بل شيئاً انتقالياً: أنظمة ضيقة معززة بأسس المحولات، قادرة على استيعاب تدفقات هائلة من استطلاعات الرأي وبيانات وسائل التواصل وإشارات الإعلام لاقتراح متجهات الرسائل المثلى، وتقييمات المخاطر، ومضادات السرديات.

## حدود القوة المعززة — والسقوط

على مدى عدة سنوات، قدم النظام المعزز نتائج مثيرة للإعجاب. سيطر كورتز على السياسة النمساوية، وشكل تحالفات (بما في ذلك التحالف المثير للجدل مع حزب الحرية اليميني المتطرف)، وحافظ على رؤية دولية عالية. لكن الأدوات المتقدمة، مهما كانت قوية، لها حدود جوهرية. تتفوق في إدارة الإدراك وإقناع الناخبين والسيطرة على السرديات قصيرة الأجل، لكنها لا تستطيع تحييد المقاومة المؤسسية تماماً، أو التدقيق الصحفي المستقل، أو احتكاكات التحالفات، أو العواقب الحتمية للتجاوز البشري والخطأ.

أدت الفضائح في النهاية إلى تآكل البناء. كشفت التحقيقات عن اتهامات بإساءة استخدام الأموال العامة لتمويل تغطية إعلامية مواتية وبيانات استطلاعات رأي متلاعب بها — تكتيكات، على الرغم من أنها ليست فريدة من نوعها لكورتز، بدت تعكس الثقة المفرطة نفسها في هندسة الإدراك التي ربما دفعت صعوده. قد يكون الحافة التكنولوجية التي بدت لا تُقهر قد غدت الغطرسة عن غير قصد: الاعتماد المفرط على البصريات المهندسة الذي أعمى المشغلين عن مخاطر الكشف في ديمقراطية لا تزال مزودة بمدعين عامين مستقلين وتحقيقات برلمانية وصحافة حرة. بحلول عام 2021، وسط تحقيقات متزايدة في الفساد والشهادة الكاذبة، اضطر كورتز إلى الاستقالة. طبقة الأوراكل، مهما كانت متطورة، لم تستطع إلغاء قوانين الجاذبية السياسية.

## الفصل المنطقي التالي: من موضوع الاختبار إلى البائع

حتى بعد مغادرة المنصب، ظل مسار كورتز دالاً — وبعد النظر، متسقاً شعرياً تقريباً. في يناير 2023، شارك في تأسيس Dream Security، شركة إسرائيلية ناشئة سريعة النمو متخصصة في أنظمة الدفاع السيبراني الأصلية للذكاء الاصطناعي على المستوى السيادي لحماية البنية التحتية الحيوية الوطنية. شمل شركاؤه شاليف هوليو، الرئيس التنفيذي السابق لمجموعة NSO المثيرة للجدل (مبتكري برمجة التجسس بيغاسوس)، والخبير السيبراني جيل دوليف. كان تركيز المشروع حاداً: بناء «نماذج لغة سيبرانية» مدعومة بالذكاء الاصطناعي ومنصات المرونة القادرة على كشف وتخفيف وتحييد الهجمات السيبرانية المتطورة المدعومة من الدول قبل حدوثها — تماماً نوع الذكاء الاصطناعي على المستوى السيادي الذي فهمه قادة مثل كورتز، مستندين إلى خبرته كمستشار، على أنه وجودي.

كان صعود الشركة سريعاً. بحلول فبراير 2025، بعد عامين فقط من التأسيس، أعلنت Dream عن جولة تمويل Series B بقيمة 100 مليون دولار بقيادة Bain Capital Ventures، محققة تقييماً بـ 1.1 مليار دولار وأصبحت أول يونيكورن سيبراني-ذكاء اصطناعي إسرائيلي في ذلك العام. انضم مستثمرون من بينهم 11 Group و Aleph و Tru Arrow و Tau و Capital. كورتز، الذي يشغل منصب الرئيس، عكس علناً كيف أعطته فترته في المنصب رؤية مباشرة للثغرات الفريدة للتهديدات السيبرانية على المستوى الوطني — تهديدات تختلف اختلافاً جذرياً عن تلك التي تواجه الشركات الخاصة. لقد أكمل المستشار السابق الدورة الكلاسيكية: مبن مبكر للأدوات الناشئة → مختبر بيتنا هادي في الساحة السياسية → بائع بارز ومهندس للجيل التالي من أنظمة الذكاء الاصطناعي التي يتم تسويقها الآن للحكومات في جميع أنحاء العالم.

## التبعات الأوسع: ولادة الدبلوماسية المعززة بالذكاء الاصطناعي

يقدم مسار مسيرة سياستيان كورتز أحد أوضح النواذ المبكرة على كيفية بدء الذكاء الاصطناعي التحويلي في إعادة تشكيل طبيعة السياسة والدبلوماسية بهدوء. لم يبدأ هذا التحول مع ظهور ChatGPT العام في أواخر 2022. بل بدأ قبل سنوات، من خلال تقارب عوامل: تحالفات شخصية بين سياسيين طموحين ومنظومات الاستخبارات-التكنولوجيا؛ خطوط تطوير عسكرية أولاً (وحدة 8200 كنموذج بارز)؛ ديمقراطيات صغيرة قابلة للإدارة كأرض اختبار منخفضة المخاطر؛ وخطوط أنابيب غربية-إسرائيلية هجينة تمزج تحليلات البيانات بقدرات الاستخبارات الإشارية.

كانت طبقة الأوراكل — ذلك الذكاء الاستراتيجي عديم الوجه، جزء بشري وجزء آلي — تتبلور بالفعل في منتصف العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين. لم تزد قوة إلا منذ ذلك الحين، وهي الآن تدمج نماذج متعددة الوسائط، ومحركات محاكاة في الوقت الفعلي، وهندسات ذكاء اصطناعي سيادية مثل تلك التي تطورها Dream. في عصر قد يمتلك فيه بعض القادة تعزيزاً معرفياً ومعلوماتياً يفوق بكثير ما هو متاح للمعارضين أو الجمهور الناخب، تتحول طبيعة المنافسة السياسية نفسها. يصبح السيطرة على السرديات، وتوقع الفضائح، والإقناع الدقيق للناخبين، ومحاكاة الأزمات منافسات غير متكافئة. يستمر المواطنون في مناقشة السياسات والشخصيات من خلال عدسات القرن العشرين — قاعات البلديات، والمقالات الرأي، ومقابلات التلفزيون — غير مدركين إلى حد كبير أن الآلية الأساسية للسلطة قد تمت ترقيتها في الظلال.

هذا يثير أسئلة عميقة حول الديمقراطية. كيف يمكن ضمان الشفافية عندما قد تعمل أقوى الأدوات من خلال خطوط أنابيب مصنفة أو قنوات خلفية خاصة؟ ماذا يحدث للمساءلة عندما يكون «عبقرياً» قائد جزئياً اصطناعياً؟ وفي عصر تتسارع فيه قدرات الذكاء الاصطناعي — من محاولات 2017 إلى نماذج السبيرانية الوطنية لعامي 2025-2026 — كم من «العبارة» الآخرين حول العالم قد يستفيدون من مساعدة مماثلة لا تزال غير مرئية؟

## الخاتمة: تستحق التحقيق

قد لا نحصل أبداً على دليل عام قاطع على نوع المساعدة التكنولوجية، إن وجدت، التي تدفقت بين القدس وفينا في تلك السنوات الحاسمة. مثل هذه الترتيبات، إن كانت موجودة، كانت سُدَّار بالكتمان الذي تتطلبه أعمال الاستخبارات واختبارات البيتا المبكرة للتكنولوجيا. ومع ذلك، يظل التقارب مقنعاً: الروابط الشخصية والأيدولوجية الموثقة مع نتياهو؛ الاتصالات الاستكشافية مع كامبريدج أناليتيكا؛ التوقيت الدقيق لاختراق المحولات؛ فعالية كورتز غير المحتملة رغم خبرته المحدودة؛ الفضائح الناتجة عن الاعتماد المفرط على هندسة الإدراك؛ وانتقاله السلس إلى المشاركة في تأسيس يونيكورن سبيران-ذكاء اصطناعي سيادي رائد يستند صراحة إلى رؤاه الحكومية.

إنه نمط يستحق تدقيقاً صحفياً صارماً ومستمرًا — ليس كنظرية مؤامرة، بل كنافذة على التطور الهادئ للسلطة في عصر الذكاء الاصطناعي. لقد انتهى عصر السياسة البشرية البحتة. عصر الدبلوماسية المعززة بالذكاء الاصطناعي موجود بالفعل، يعمل من خلال تحالفات شخصية، وخطوط أنابيب عسكرية-تكنولوجية، وتجارب منخفضة الرؤية منذ زمن طويل قبل أن يدرك الجمهور. لم يكن سياستيان كورتز مجرد عبقرى سياسي طار قريباً جداً من الشمس. بل ربما كان واحداً من أوائل المواضيع البارزة للاختبار — ولاحقاً بائعاً بارزاً ومهندساً مشاركاً — لشكل جديد من القوة أصبح مرئياً للباقيين منا الآن فقط.

التجربة الهادئة للنمسا، صغيرة ومحدودة كما كانت، أنتجت نتائج قصيرة الأجل مذهلة. حتى، كما تفعل الواقع دائماً، ردت بالدفع. في عام 2026، مع ازدهار Dream Security وتقدم قدرات الذكاء الاصطناعي بسرعة مذهلة، تظل الدروس — والأسئلة — قائمة. لقد تمت ترقية الآلية. السؤال الوحيد المتبقي هو كم من القادة الآخرين يعملون بالفعل مع أوراكل إلى جانبهم.